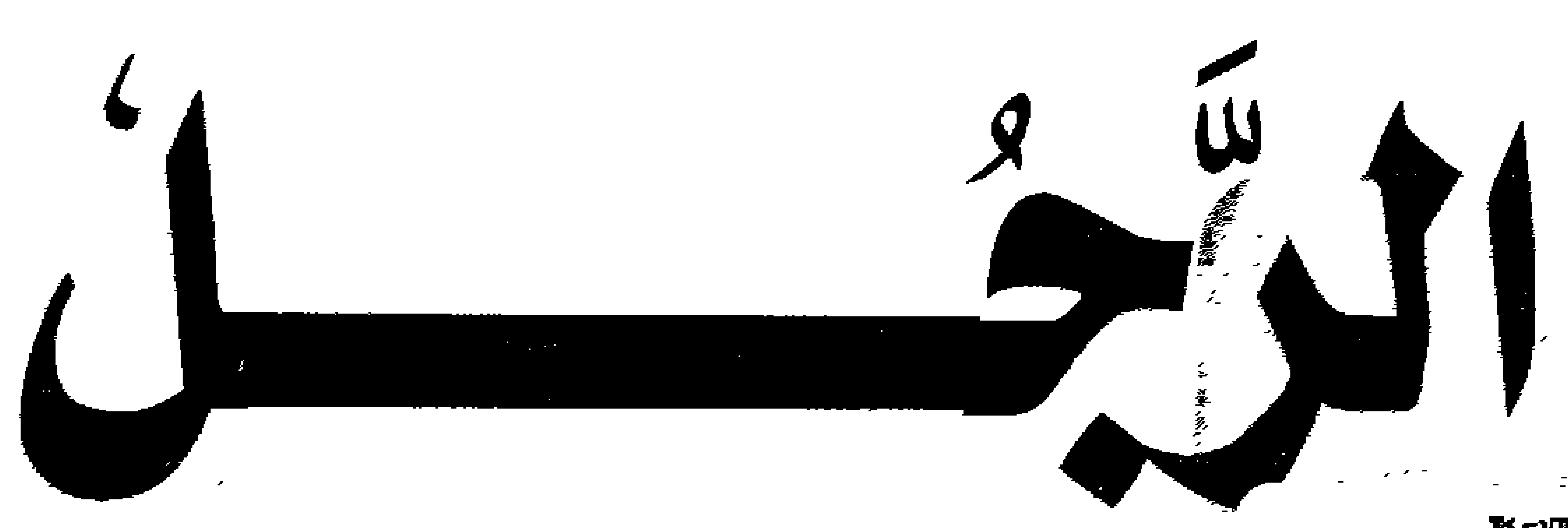
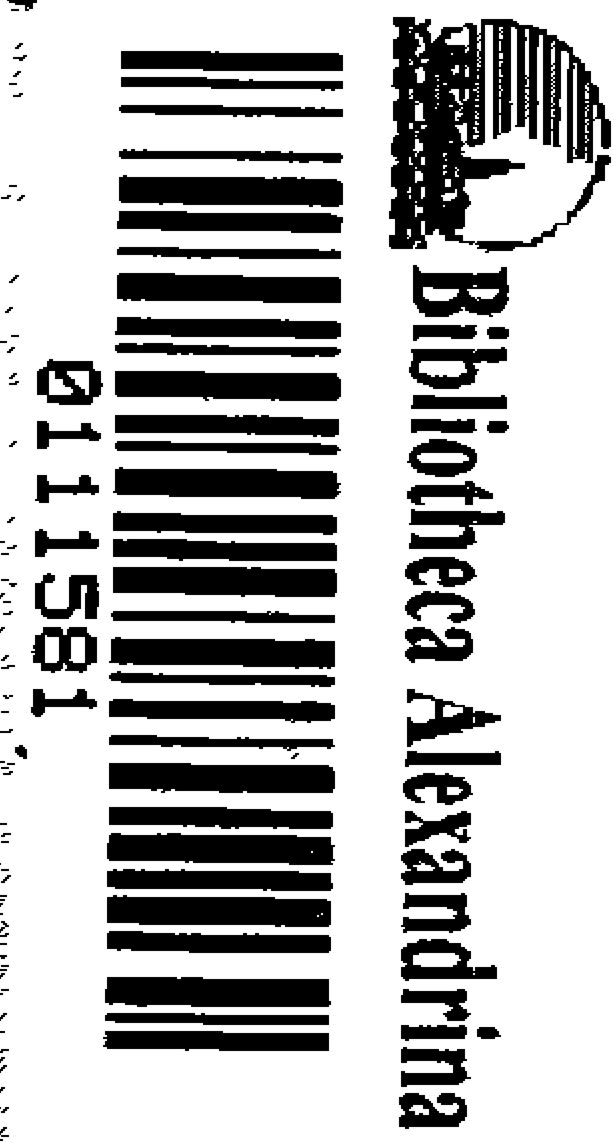


ليلى الشربينى



الرَّجُل





مركز الحضارة العربية

الرجـــل

ليلى الشربينى

الغــلاف : جودة خليفة

الطبعة العربية الأولى : يناير ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٨/١٨٢٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-050-9



رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير التحرير

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : صفاء الشريف

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

ليلى الشربينى



الرجل



(١)

طرق على الباب

طرق عنيف

استيقظت

استيقظ أبوها

فرك عينيه

خرج إلى الصالة

فتح الباب

إنهم هم

طالبوه بارتداء ثيابه

أخذوه

أعطاها بعض النقود . ربما كانت كل ما معه .

قال لهـا إذا طال الغياب اذهبي إلى بيت عـمك واتصلي بمحامي الحزب .

هل هذا هو الخوف ؟

جف حلقها ، انتابتها حركة عصبية فلسانها يطل من فمها ليلعق شفتها السفلى دون إرادة منها .

حاولت النوم

لا نوم

حاولت القراءة

لا تركيز

فكرت في طلب زوجة عمها بالتليفون لكن لِمَ ؟ وماذا تقول لها ؟ إنهم يعتبرون أباها فضيحة . اشتاقت لأمها - لماذا ماتت شابة ؟ تلك الأم التي تحتاج إليها في تلك اللحظة ، كما لم تحتج إليها من قبل .

أبوها هو السبب .

دائمًا هذا الأب الضعيف المفلس الذي لا حيلة له ولا قوة إلا التغني بالمبادئ والقيم وها هو سقف البيت يكاد أن يقع فوق رؤوسهم ، وليست هناك نقود لإصلاحه .

فمنذ وفاة عمها والمرتب لا يقاوم الغلاء المتزايد وقد تنازل أبوها عن ميراثه في تركة أخيه الذي لم ينجب إلا ابنة - أما كان أجدر به أن يقبل الميراث ويصلح السقف . على أي الأحوال فتنازله لم يصلح العلاقة بينه وبين زوجة أخيه فهي دائمة التذمر من العلاقة التي تربط الأخوين وتدهش من مصادقة زوجها وهو رجل السلطة الذي تحول إلى رجل أعمال ناجح لهذا الأخ الفاشل رد السجون .

نقمت على أبيها .

مدت ذراعها على المخدة ، أغمضت عينيها ، سرحت فى أمها، أحست أنها تحتضنها - نامت وهى تخشى الغد فهى ما زالت فى الخامسة عشرة . فى الصباح لم تستيقظ مبكراً بالرغم من أنها قبل أن تنام لم تغلق نافذة حجرة النوم والشمس غمرت الحجرة منذ زمن .

فكرت فى أبيها الذى لم يعد ، تذكرت أنه يجب أن تخطر محامى الحزب .

أخطرته

لم يسألها عن مصيرها ، لم يسأل من سيتولى أمرها بعد احتجاز أبيها - دموع غزيرة تلألأت فى عينيها وأبت أن تسيل على خدها فظلت معلقة تحجب كل شىء إلا الخوف ، بحثت عن النقود التى تركها الرجل ، عدّتها - قد تكفى فترة ، لعله يعود لكن ماذا لو بدأ العام الدراسى قبل أن يعود ؟

من الذى سيدفع مصاريف المدرسة ؟ ماذا ؟

وماذا ؟

لكن لا بأس

رتبت السرير ، نظفت البيت

أهو حقًا غائب ؟ دخلت حجرته رتبتها أغلقت كتابًا كان يقرأه ونام قبل أن يغلقه ، أغلقت باب الحجرة وخرجت .

أدركت فى تلك اللحظة عدم وجوده ، سرت رعشة فى جسدها ، أهو الخوف مرة أخرى ؟

أخـذت حمـامًا ، فـقد عـودها أبوها على ذلك . أن تـبدأ اليـوم بالاستحمام مهما كانت متعبة ومهما كانت فى عجلة من أمرها .

سمعت طرقًا على الباب خشـيت القادم . أتراه أحد من الشارع علم بما حدث ؟

– من ؟

إنه صوت صاحبة البيت .

فتحت لها – أدخلتها

بعد التحية سألت المرأة عن السيد أحمد المغازى .

بعد فترة من الصمت قالت المرأة :

– علمت أنهم جاءوا فى الليل وأنهم أخذوه .

طبعًا لن تظلى وحـدك ، هل أصحبك إلـى بيت عمك أم أطلب زوجة عمك ؟

لم ترد – إنها لا تود الذهاب عند زوجة عمها .

ألقت المرأة تحية وخرجت .

مر اليوم بطيئاً ثقيلاً كأن الزمن مكبل بالأغلال .

فى الصباح التالى جاءت توحيدة القصبى لتأخذها .

***

(٢)

- أهلاً هاجر .

استقبلتها ابنة عمها التى تقاربها فى السن بابتسامة صفراء.

فمنذ الصغر ، منذ الاحتجاز السابق حين مكثت هاجر عند عمها عثمان المغازى لحين خروج أحمد المغازى و البنتين بينهما حاجز ، فمحاولات الجدة فى عدم التفرقة بينهما باءت بالفشل .

هاجر تغار من هبة، فالفستان الجديد لهبة والقبلات لهبة، أما هاجر فلها الثياب التى استغنت عنها هبة ، دائمًا هى التى يطلب منها ترك الفرجة على التليفزيون أو المذاكرة لإحضار ما يريدونه من المطبخ أو من الثلاجة ، أوفتح الباب إذا طرق أحدهم الباب .

هبة تغار من هاجر لأن هاجر طفلة جميلة بمقاييس القوم الذين يأتون إلى البيت فهم دائمو السؤال عنها ، دائمو التدليل لها .

شعور هبة فى تلك اللحظات بالعزلة والوحدة يدفعها لما يشبه الكراهية .

***

دخلت هاجر ومعها بعض الثياب - ثياب قليلة رخيصة بهت لونها لكنها نظيفة ومكوية ، فهى تغسل كثيراً كما عوّدها أبوها وتقوم بالكى بنفسها ليس توفيراً للنقود فقط وإنما لأن الكى رياضة أيضًا كما قال والدها .

شتان الفرق بين البيتين ، فبيت عثمان المغازى فى حى جديد تسكنه ما يسميها أبوها : الطبقة الجديدة - فالفرش ثمين والحجرات واسعة وكثيرة حتى السجاد والنجف يلوح منهما الثراء ، ليس ثراءً فاحشًا لكنه ثراء ما .

لم تمض ساعة إلا وهى مشتاقة لبيتهم فى الحى الشعبى الذى يسكنونه . للحظة غضت النظر عن السقف وما به من شروخ . شروخ تتسرب منها قطرات المطر فى الشتاء ، حجرتان وصالة . حجرة له وحجرة لها وصالة هى الصالون وهى السفرة وهى حجرة المعيشة . أشفقت على والدها . أتراهم يضعون أسِرّة فى الزنازين أم أن المحتجزين يفترشون الأرض .

إنها جائعة لكنها لم تطلب طعامًا فلم تعد الطفلة التى لا تفرق بين بيت أبيها وبيت عمها .

لم تعد الجدة حية لكى تسألها إن كانت تود طعامًا ؟

لم تتحدث معها توحيدة القصبى ولم تحادثها هبة المغازى ففى التليفزيون مسلسل تتابعانه باهتمام شديد . وهن يغزلن ، فتلك هى تقاليد العائلة ؛ تحضير جهاز العروس منذ الطفولة . أخيراً تجرأت أن

تطلب كوبًا من الماء .

- عندك فى الثلاجة .

بعد الغداء وبعد القيلولة حضرت عزيزة القصبى وزكية القصبى وفردوس بدر الدين زوجة حسام القصبى فهن بنات عمومة أو قريبات ، كان من الواضح أنهن أُستدعين لهذه الزيارة.

- فكرت فى استشارتكن ماذا أفعل ؟ إن هبة تتأزم نفسيًا من وجود هاجر معنا بالبيت .

قالت عزيزة القصبى : آخذها أنا فقد تطول مدة احتجاز أحمد المغازى وسوف تسلينى ؛ فالبيت ليس به أولاد يقطعون علىّ وحدتى.

ردت فردوس بدر الدين وزكية القصبى فى نفس واحد :

- وزوجك ألا تخشين عليه منها ؟

- أضمن زوجى .

- وأخوك ؟

- إنه بالقاهرة ولا يأتى إلا قليلاً .

حسمت توحيدة القصبى الموقف .

- يا هاجر ستأخذك عزيزة معها وحين تسافر إلى المنصورة ستسافرين معها .

-لا تقولى لأحد إن أباك مسجون قولى إنه مسافر فى إعارة.

- نعم فنحن لا نحب الفضائح .

***

(٣)

فى العربة التى يقودها السائق جلست هاجر بجوار عزيزة ، وهى لا تعرف إلى أين تذهب فمنذ توفت جدتها لوالدها لم تذهب إلى بيت أحد من عائلة القصبى .

فالجدة هى أيضًا من عائلة القصبى .

لقد سمعت أن سامح القصبى يعيش وحده فى شقة بالهرم يمتلكها أحد أهالى القرية.وذلك لحين أن يتزوج ، ويأخذ شقة فاخرة بحى أرقى ، فهو طموح جداً .

قطعت تفكيرها عزيزة قائلة .

- سوف أمكث بالقاهرة يومين أو ثلاثة بالرغم من أننى رتبت للسفر فى الغد صباحًا .

سوف نذهب إلى المحلات لكى أشترى لكِ بعض الثياب فالجيران بالمنصورة يرصدون كل شىء وأنت قريبة لنا يجب أن يرونك فى أحسن زى .

شعرت هاجر بحرج ، ولكنها لم ترد .

***

ارتدت هاجر ثوبًا جديداً

قالت عزيزة :

- اذهبى للمرآة .

ولم يكن الثوب هو فقط الجديد وإنما التسريحة أيضًا ، فقد أخذتها عزيزة إلى الكوافير لتقص شعرها وتصففه .

أبهة !

كما تقول جدتها .

تذكرت «كوزيت» فى البؤساء ، والفقرة التى كتبها يكتور هوجو حين نظرت إلى وجهها فى المرآة بعد أن أتى لها چان فالجان بثوب جديد ، لقد استخدم يكتور هوجو تسعة ألفاظ كلها نعتًا للجمال ، تذكرت أيضًا أباها حين لفت نظرها إلى أن كل نعت من التسعة نعوت أقوى من الذى سبقه كأن «كوزيت» تكتشف أكثر فأكثر أنها جميلة .

نظرت عزيزة بإعجاب وفخر إلى هاجر قائلة ..

- تمام

محا شكلها فى المرآة الإحساس بالغربة ، اختفى رويداً رويداً وجه أبيها وبيت أبيها .

أخذت حمامًا ودخلت الحجرة التى كانت مخصصة للمولود الذى لم يجئ . والتى خصصتها لها عزيزة القصبى .

وضعت رأسها على الوسادة وهى تحلم ببيت المستقبل ، بيت وفير وخدم وعربة وأشياء كثيرة .

إنها جميلة وتستحق الكثير .

نامت .

أول ليلة فى المنصورة

***

فى نهاية الأسبوع حضر سامح القصبى إلى المنصورة قبل أن يذهب إلى العزبة كعادته مرة كل شهر . عزيزة تنتظره دائمًا فى هذا الموعد وتحضر له مائدة بها كل ما يحبه من طيور ولحوم ومشهيات والقائمة طويلة .

جلست متسائلة إن كانوا سيأكلون كل هذا الطعام فى وجبة واحدة – كادت تصاب بالإغماء وهى تراهم يأكلون كأنهم نسوا أن بالعالم شيئًا غير الطعام ، أكل ثم أكل ولا شىء غير الأكل ، أطباق تمتلئ ثم تفرغ ثم مرة أخرى تمتلئ فيأتون على ما بها من طعام.

– أنت لا تأكلين يا هاجر كلى حتى يمتلئ وجهك فأنت ضعيفة.

– سوء غذا .

– لن نردك لأحمد المغازى .

–سنقدم لك فى المدرسة الثانوية هنا .

نظرت إليهم فى صمت لا تدرى ماذا تقول .

- والراهبات ! وصديقاتى !

ودت لو قالت أيضًا وبيت أبى ، لكنها لم تقل شيئًا ، نظرت إليهم وإلى الأطباق الفارغة أمامهم .

تذكرت يوم تأخر المرتب لمدة أسبوع بأكمله ، وكادت النقود أن تنفد فوضع الوالد ملحًا فى رغيف واقتسمه معها . قائلاً :

- السجن يعلم الصبر

- إيه .. أيام

لا تخشى الجوع يا بنتى فلا أحد يموت جوعًا .

طلبت عزيزة من الخادمة أن ترفع الأطباق الفارغة وطالبتها بإحضار الحلوى والفاكهة ثم ذهب الجميع إلى الصالة لتناول الشاى واستأذن محيى نسيم زوج عزيزة فى الانصراف فقد حان موعد زيارته الأسبوعية لأمه .

أما سامح القصبى فلم يكمل كوب الشاى وقال :

- أود النوم ساعة قبل الذهاب إلى العزبة .

- عندك حجرتك اذهب إليها وهاجر ستجلس معى لترتيب بعض الأمور الخاصة بمستقبلها وتحويل أوراقها إلى المنصورة .

***

(٤)

العزبة

أرض خضراء يكسوها أرز تداعبه الرياح فيميل معها ، شيء جميل حقًا .

هدموا البيت القديم وبنوا مكانه فيلا تضاهي فيلا حسن القصبي فأرضه مجاورة لأرض عبد العال القصبي شقيقه وأبو سامح وعزيزة .

إنها ليست قريتهم بل هي قرية صفية ولطيفة المغازي وقد تزوج الشقيقان الشقيقتين لأجل تلك الأرض ، جمعة القصبي أبو الشقيقين مات مفلسًا ، ترك فقط عشرين فدانًا ظلت باسمه ، أما توفيق المغازي والد الشقيقتين فقد حافظ على أرضه بل إنه اشترى من أشقائه وأولاد عمومته أرضًا ضمها إلى فدادينه فصار ثريًا . وقد اختار أولاد جمعة القصبي زوجين لبنتيه لأنهما تخرجا في الجامعة ولم يفشلا في الدراسة مثل ابنه سعد المغازي.

إن ضياع فدادين جمعة القصبي كان السبب الأول في تمسك ولديه بالنجاح في التعليم .

استقبل عبد العال القصبي هاجر بترحاب شديد .. قبلات فأحضان وتحيات فهي حفيدة شقيقته ، وقد كان يحب شقيقته حبًا جمًا . حتى إنه غفر لها توريطه في تلك الزيجة التي لم تلهمه يومًا سعيدًا ، اللهم إلا الأولاد ، فصفية المغازى زوجته ليست جميلة ورغم إنها تعلمت شيئًا من القراءة والكتابة إلا أنها كادت أن تنساهما من عدم الممارسة ، هي تستطيع أن توقع فقط إذا طلب منها التوقيع على أوراق تخص الأرض ولا شاغل لها غير غزل المفارش وقزقزة اللب ، فزوجها يعتبرها بلهاء .

رحبت صفية بالفتاة قائلة :

- عروسة جميلة .

فخجلت قليلاً وجلست بين العائلة .

- طبعًا لم تفطروا بعد .

جهزت السفرة ، أصناف وأصناف من الجبن والمربات والعسل . فلديهم منحل وقشدة أيضًا .

- آه مربى البلح

إن الجدة كانت تجيد صنع هذه المربى وتحشو البلح لوزًا .

قشدة ومربى ، ما ألذ الطعام !

مر اليوم سريعًا في الأكل وما بين الأكلتين من أكل فهذه فاكهة وتلك حلوى وأخرى مكسرات ، والتنزه في الغيط .

وفى الليل عاود هاجر الحلم بالثراء وأخذت ترتب فى خيالها بيت المستقبل .

***

مرت الأيام رتيبة سهلة ، تجلس عزيزة القصبى وبجوارها هاجر تطرزان وتغزلان وتشاهدان التليفزيون .

حين يحضر محيى نسيم - غالبًا ما يكون موعد الطعام قد أزف فتدعا أشغال الإبرة جانبًا وتستعدا للغداء أو العشاء .

***

الشىء الذى غير الرتابة هو مجىء سامح القصبى ، فقد صار يحضر مرة آخر كل أسبوع بدلاً من مرة فى الشهر - وبعد أن كان يبيت يوم الخميس فى القرية ، أخذ فى المبيت عند شقيقته .

شجعت عزيزة القصبى العاطفة النابتة بين شقيقها وبين هاجر المغازى .

قدمت أوراق الفتاة للمدرسة الثانوية بالمنصورة وجهزت لها الثياب اللازمة للدراسة بل أخذتها إلى بورسعيد لاختيار ملابس الشتاء بالرغم من أن الشتاء مازال بعيداً فهى «محسوبة عليهم» كما قال عبد العال المغازى وهو لم يكتف بالقول فقد اشترى المصاغ هدية لهاجر .

وعلى الرغم من ندم هاجر المغازى على ترك مدرسة الراهبات

فقد شعرت براحة للوضع الجديد ، ففى القاهرة لم تدع زميلاتها إلى البيت ، وكيف ؟ فالبرغم من دروس أبيها فى القيم وأهمية مصدر النقود الذى يعلو على امتلاك النقود ذاتها ، فهى دائمًا كانت تشعر بغصة حين يوصلها أتوبيس المدرسة للحى الشعبى الذى تسكنه . ليتها ما رأت بيوتًا غير بيتها ، ولا شعرت أن بيتها فقير .

- لماذا يا أبى ؟

تخرج متفوقًا ، توقف عند الماجستير ، سجن عدة سنوات ، رفت من عمله بعد خروجه من السجن أول مرة وعمل فى البرمجة فى غير تخصصه بمرتب خريج جديد .

- لماذا يا أبى ؟

- لماذا ؟

***

(٥)

ذهب أحمد المغازى إلى المنصورة . قدم نفسه إلى الخادمة التى فتحت له الباب ، ظل واقفًا بالخارج حتى عادت لتقول له :

- تفضل .

أدخلته الصالون ، سألته إن كان يفضل الشاى أم القهوة أم مشروبًا آخر . فرد .

- لا داعٍ للتعب - أين هاجر ؟

- ستأتى حالاً .

أتت عزيزة القصبى مرتدية ثوبًا أنيقًا ، تفوح منه رائحة عطر ثمين . قالت :

- أود التحدث معك لبعض الوقت ثم ستأتى هاجر .

هل ألمَّ بها شىء ؟ هل هى مريضة ؟

- لا ؛ إنها تستذكر دروسها فهى الآن فى الثانوية العامة .

- آه مضت ثلاثة أعوام أرجو ألا تكون قد أرهقتك ، نسيت أن أشكرك على استضافتك لها .

- لا ، هذا واجب ، لقد ملأت حياتى وهى فتاة مطيعة رائعة.

- خير ؟

- هى صـارت عـروسًا ونحن نود طلب يدهـا لأخى . سـوف تسكن معه فى القـاهرة ، وسوف تدخل الجامعة ، والمهر مـثل مهرى عشـرة آلاف جنيه والمؤخـر شرحـه ، أما الشـبكة فخـاتم فى حدود خمسـة آلاف جنيه وستكون لهـا عربة لكى تذهب بها إلى الجـامعة وطبعًا سنعلمها القيادة .

- يا فندم ...

- إنها موافقة ، فهما راضيان عن بعضهما بعضًا .

- يا فندم المسـألة ليـست مـسـألة شـبكة ومهـر - إنهـا مـازالت صغيرة.

- وهل تعتقد أنها يمكن أن تقاسمك حياتك بعد أن عاشت معنا وتطبعت بطباعنا ؟

- يا فندم ...

- إنهـا أصـبحت الآن فى مـقـام ابنة لى وأعـتقـد أن بعـد تلك السنوات الثلاث قـد أصبح لى الحق فى بناء مستـقبلـها ، كمـا أنها تثق بى .

... و ....

جـاءت الخـادمـة بالشـــاى ، طاولة بعـجل عليـهـا طاقم من الفـضـة وفنجـانين من الـصيـنى الفـاخـر ، ربما كـان هـذا الصـينى مـوروث عن صفـيـة المغــازى ابنــة عمـه ، فهــى دائمـًا تحــب الأشياء الثمينة .

- ارسلى هاجر .

جاءت هاجر - يا لها من فتاة رائعة ، شبت وازدادت جمالاً وحلاوة وكبرت ، ومن الواضح عليها أنها بصحة جيدة ، فلونها يشبه لون الزهور .

- تعالى يا هاجر

- سامح خطبك ، وطلبتْ يدك من عم أحمد ، ما رأيك ؟

- حقًا ؟

ماذا يفعل والفرحة تنبثق من كل خلجة فى وجه ابنته . سألتها فقط :

- هل تحبينه ؟

أرخت جفنيها واحمر وجهها .

وقالت عزيزة :

- ما هذا السؤال يا عمى ؟ هل عندنا بنات تحب ؟!

المهم هو اللياقة وعائلة القصبى والمغازى تتناسبان منذ عهد الخديوى عباس ، حقًا إن أمها كانت من عائلة متواضعة لكن ذلك ماضى .

احمر وجه الفتاة مرة أخرى وأرخت جفنيها .

- هل تأذنى لى بدعوتها فى الخارج ، سأعيدها قبل المغرب لتستكمل مذاكرتها .

- هل تريدين الخروج يا هاجر ؟

لم ترد الفتاة ، وقالت :

- أستأذنك يا أبى فى استكمال حـل بعض المسائل فأنا أصبحت فى الثانوية العامة وأود الحصول على مجموع عالٍ .

فى هذه اللحظة فقط رأى ثيـابها ، فى هذه اللحظة أشفق عليـها من الثراء الذى يحيط بها . قال :

- ألا تودين العـودة معى إلى القاهـرة .. صديقاتك وابنـة عمك ولنقل بعد الامتحان ، فلن أقطع عليكِ السنة الدراسية .

- عندى صديقات هنا وقد تعودت عليهن .

سكت واســتـأذن وخـرج دون أن يمـس الشـاى أو الـكيك أو البسكويت ولكن دخن سيجارة .

لم يقبّلها فلم يكن يعرف إن كانت تود تقبليه أم لا ؟

عادت عـزيزة القصـبى إلى الصالون بـعد وداعه وطلبـت هاجر للتحدث معها .

- كنت أود أن تكون الخطوبة مفاجأة لك بعـد الامتحان لكن ها هو أبوك قد خرج من السجن ويود استردادك. أرجو أن تفهمى جيداً أن هذا الرجل بالرغم من أبوتـه لك لا يعى مصلحتك .

دعينى أرتب كل شىء ولا تـعطى له فرصة تخـريب مستـقبلك فأنت جميلة وتستحقين حياة غير التى يمكن أن يقدمها لك .

***

(٦)

حمد لله أن أبى قد اشترى بذلة جديدة للفرح .

العائلات والأصدقاء

- أبهه

لكن لا شقة جديدة ولا فرش جديد ولا شيء مما كانت تحلم به.

غصة !

ألانها فقيرة ، ألان ابيها لم يسهم فى تكاليف الجهاز ؟

لماذا تزوجها سامح ؟

أسئلة كثيرة .

المهم الكلية ، لقد قبلت فى كلية الهندسة .

جاءتهم هدايا كثيرة بعضها ثمين .

زارهم أقارب بعضهم لا تعرفهم .

دعوات متتالية على العشاء وترتدى الثياب الجميلة ، وتجمل نفسها وتصحبه حيث يذهب وهو فرح منتشٍ .

تسهر معه فى البيت أو خارجه ، تجد صعوبة فى الاستيقاظ صباحًا لحضور أول محاضرة .

تـتـعلم القيـادة ، تذهب إلى الكليـة فرحـة منتشـية لأنهـا تركت السيارة خارج سور الجامعة .

وبعد ؟

إنها لن تنجـح فى الامتحـان فلم تحضر إلا مـحاضرات مـا بعد العاشرة . ولم تحضر العديد من السكاشن .

وبعد ؟

طالبها بدعوة أصدقائه وزوجاتهم على العشاء ثم قال :

- اطلبى عـزيزة واسأليـها ، أود عشـاءً ملوكيًا ، طلبـت عزيزة، فطلبت عزيزة مـحادثة الخادمـة . أعطتهـا التعليمـات ثم تحدثت مع هاجر لترشدها إلى الأشياء الصغيرة التى لا يجب أن تفوتها: لبسها، مظـهـرها ، مظهـر البـيـت وكل مـا يـضـفى أبهـــة على تلك الوليمـة .

جاءوا

تحدثوا

تحدثوا كثيراً

المال

كل الحديث عن المال واسـتثمـار المال . فهذا تاجـر لحوم ، وذاك يسـتورد الصينى الأصيل ، وآخر تاجـر أجهزة حاسـوب ، والبعض يملك أرضًا ، والبعـض أضاع أبـوه إن لم يكـن جده الأرض . لكن كلهـم من مُلاّك الأرض .

سألت بسذاجة :

- ألم يفكر أحدكم فى التصنيع ؟

ضج أغلبهم بالضحك .

- ولماذا التصنيع ؟ أننتظر عشر سنوات حتى يأتينا العائد ؟

- لكن إن لم يستثمر رأس المال فى التصنيع وظل فقط للإستيراد وبيع المستورد يقال إنه رأس مال طفيلى .

- ومن الذى قال ذلك ؟ أبوك ؟

تركت الصالون وذهبت إلى حجرة النوم تبكى وهى لا تعلم إن كانت تبكى السخرية من أبيها ؟ أم تبكى من الخجل . تصورت أنها تلقى بحكمة . أليس التصنيع بناء للوطن ؟

وما جدوى النقود بدون وطن قوى ؟

شعرت بقرف ، سوف تهتم بالكلية .

أصبحت تنام مبكراً ، ولا تشارك سامح القصبى سهراته أمام الفيديو وتعتذر عن أغلب الدعوات قائلة :

- عندى شغل .

باتت ترى أباها من حين لآخر ، وتأخذ منه بعض الكتب .

ربما عنده حق .

***

حامل !

ابتهجت عزيزة القصبى وأتت لتقيم بالقاهرة بجوار هاجر انتظاراً للمولود .

استقبل أحمد المغازى الخبر بفتور شديد ، بل بهمٍ شديد ، فابنته مازالت صغيرة ، ولم تكمل الدراسة بعد ، أما المولود ؟! إنه لا يعرف إن كانت عزيزة القصبى ستتركه لها أم ستأخذه لتربيه بمعرفتها ؟

***

(٧)

جاء المولود ومعه الشقة الجديدة ، شقة جديدة فى حى الطبقة الجديدة وفرش جديد .

فرحوا .

- فرح أحمد المغازى .

فرح جداً

ماذا يفعل ؟

أية هدية يتقدم بها لابنته ولحفيده ؟

ذهب لزيارة رفيقة مشواره ، سألها المشورة ، خلعت من على جدارها لوحة تمثل أمًا ترضع وليدها لبيكاسو ، لم تكن اللوحة الأصلية لكنها كانت طبق الأصل وبنفس الحجم . أهداها لابنته .

من الواضح أنها لم تعجب عزيزة القصبى ولا سامح القصبى لكن ابنته فرحت بها قائلة :

- لبيكاسو ؟

لم تذهب للكلية كثيراً فى هذه السنة أيضًا فقد كانت تشغلها الرضاعة . أحبت المولود ، شعرت أنها تحيا وأن حياتها ممتدة وأن فى

قلبها تدق طبول الفرح ، شـعرت أن الأرض يحوطها خلخال ذهبى بأجراس فكلما دارت دقت الأجراس مع قلبها ومع الحياة .

أرضعته .

احبته أكثر فأكثر .

حلمت به يكبر .

قرأت الكتب من أجله ، بحثت عن المدارس حتى قبل أن يستطع المشى .

تريده أحسن الأطفال وأروعهم .

- حلمك .

قال أبوها : إنه حلم كل أم .

ليته يتحقق لكل أم .

- دائمًا الكل . هكذا أنت يا أبى دائماً الكل .

يبتسم الأب ويخرج فزيـارته قليلة وقصيرة ، إنه يعلم تمام العلم أنه غير مرغوب فيه .

***

أقامت عزيزة القصـبى فى بيت أخيها فترة ، فقـد مرضت واشتد مرضها فلحق بها زوجها .

***

بالبيت ڤاترينة أرادت عزيزة أن تضع بها بعض التحف حتى لا تظل خالية ، إنها تحب أن يكون كل شيء كاملاً ، غاية في الكمال .

كلفت هاجر بالذهاب لبعض المحلات التى تبيع تلك الأشياء وأوصتها بأن يكون ذوقها رفيعًا ، ولا يهم الثمن .

أتت هاجر بالأشياء فرحة بعد أن أضناها اللف على المحلات والحيرة فى الاختيار وخشية غلو الثمن . فهى تعرف أن سامح بخيل وتخشى أن يثور إذا هى طاوعت عزيزة .

فى النهاية وحتى لا تأتى بأشياء دارجة غضت النظر عن الثمن .

كريستال وسيفر وأشياء فاخرة ؛ كلها أصيلة .

فرحت عزيزة .

تركت الفراش لترتب التحف فى الڤاترينة ، لم تفرح هاجر بالأشياء قدر فرحتها لترك عزيزة الفراش ولو لمدة قصيرة فهى فعلاً تحبها ، وهى فعلاً ترى فيها الأم التى افتقدتها .

لكن .

جاء سامح ، دخل عند أخته .

قالت :

- هناك مفاجأة . اذهب حتى الڤاترينة .

- بكم كل هذا ؟

- لا عليك سأدفعه أنا .

فهى أيضًا تعلم أن سامح بخيل .

- أنت ... أنا .... واحد

المهم بكم كل هذا ؟

حين علم بثمن الأشياء ، ثار .

حين دخل حجرة النوم عنف هاجر

قال من بين ما قال :

- هل هو مال أبيك حتى تبذرينه هكذا ؟

لم ترد هاجر .

تركت الحجرة . ذهبت لحجرة أبنها ، أخذته بين ذراعيها واحتضنته .

***

(٨)

ماتت عزيزة القصبى فى بيت أخيها .

تشاوروا هل يقام المأتم فى القرية أم فى القاهرة أم فى المنصورة . استقر الرأى على القاهرة .

أتى القوم رجالاً ونساء .

طلب سامح من توحيدة القصبى وزكية القصبى بنات عمه الإشراف على البيت قائلاً :

– عزيزة هى التى كانت تدير كل شىء ، هاجر ليست «سيدة» .

سمعته هاجر ولكنه ليس وقت الشجار . على أية حال لقد قال لها أبوها يوماً : ليس هناك مجال لتأنيب من انقطع العشم معه ولا مع من ليس له ضمير .

سكتت .

وانزوت فى ركن من البيت كأية قريبة من القرية أولئك القرويات من الدرجة الثانية أو الفقيرات اللاتى يحضرن كأنهن حضرن بلا دعوة كما قال الفيلسوف اليونانى المحب لأبيها .

***

مرت أيام الحداد ، والأخمسة ، والأربعين ، وهى لا تصدق أن عزيزة فارقتها .

لقد أصبح البيت خاويًا ، صامتًا إلا من صراخ الطفل وضحكاته وهو دائم السؤال عن عمته .

قررت تسجيل الطفل بدار حضانة والعودة للكلية .

***

أتى سامح القصبى مخموراً قرب الصباح حاول إيقاظها ، رفضت قائلة :

- عندى كلية فى الصباح . ضربها . قال :

- أنت زوجتى وعليك طاعتى . قومى .

بكت .

صرخت .

تركت الحجرة ، ذهبت لحجرة الطفل نامت عنده .

تكرر الحادث . يومًا فيومًا أدركت قول مفكر قرأت له وهى فى الرابعة عشرة من عمرها عن المحظية واستقر فى ذهنها قول الفيلسوف ، فصارت تردد لنفسها لست محظية ، لا أود أن أكون محظية .

فكرت فى الطلاق . لكن كيف ومعها الطفل ، لن يتركه لها.

حدثت أباها ، سأل البعض .

رد عليها قائلاً .

- أنت حاضنة .

- الطفل لك حتى العاشرة .

- لكن كيف ؟

***

سألت فردوس بدر الدين المشورة لعل زوجها حسام القصبى ابن عم سامح القصبى وصديقه ينصفها فى قضيتها ، ثارت العائلة بأكملها . فالخبر شاع بينهم . أصرت . طالب سامح القصبى زوجة عم هاجر بأن تخصص لها وللطفل إحدى الحجرات فى بيتها وأن يظلا عندها حتى يكبر الطفل ، رفضت توحيدة القصبى زوجة العم الطلب ، قائلة :

- لست مستعدة لتولى أمر مطلقة . لا أضمن هاجر.

حين علمت هاجر لم تدهش فهى تعلم مشاعر زوجة عمها وابنة عمها وابتسمت فى سخرية فالكل يعلم ما صار إليه حال ابنة عمها من سهر ومغامرات عاطفية .

وتجمد الوضع .

أكثرت هاجر من الزيارات لأبيها وكانت تلح فى كل مرة على إصلاح السقف وإعادة الطلاء حتى لا يصاب الطفل بعقدة نفسية إذا هم حضروا للإقامة مع أحمد المغازى .

***

(٩)

اللوكاندة .

فى الحسين - لوكاندة درجة عشرة لكن لا بأس فلا تجوز دعوى الطلاق فى بيت زوجها ، خرجت ومعها الطفل .

الطفل فقط .

ركبت تاكسيًا . قابلت أباها حسب الاتفاق سيعودون للبيت حين يصل إلى سامح القصبى الإنذار ، حين عادوا بعد بضعة أيام وجدوا الباب مكسورًا إذن حاول سامح اقتحام البيت . حمدًا لله أنهم كانوا بعيدًا ، فالآن بعد وصول الإنذار لن يستطيع الاقتراب منهم . اعتنى أحمد المغازى بابنته وطفلها .

استذكرت هاجر دروسها . نجحت .

انتظم الطفل فى المدرسة بعد أن أرسل المحامى رفيق مشوار الأب إنذارًا لمديرة المدرسة بألا تسلم الطفل إلا لأمه .

***

جاءت فردوس بدر الدين وتوحيدة القصبى وزكية القصبى لزيارة هاجر ، قلن إنها يمكن أن تسوى المسألة وديًا ، تتنازل عن المؤخر والسيارة والمصاغ والثياب وحقها فى الشقة .

- اطلبى من المحامى موعداً وقولى ذلك .

- اطلبى أنت الموعد وسوف يذهب الرجال إلى المحامى . وقد كان . قال المحامى ..

- من الأفضل انتظار حكم المحكمة حتى تنال هاجر مستحقاتها وتكون الرؤية فى قسم الشرطة .

قالت هاجر :

- ابنى لن يذهب لقسم الشرطة لرؤية أبيه فليتسلح بالوقار ويأخذه فى نهاية الأسبوع على أن يكون أبى مرافقًا لهما .

أبرته . إلا من نفقة شهرية للطفل واتفقوا على الرؤية .

***

تنهدت ، تركت الأريكة التى تجلس عليها ، قامت ، أغلقت التليفزيون ، ذهبت إلى الشرفة حيث الغسيل منشور ، فكت المشابك وضعت الثياب الناشفة فى السلة ، تركت ما لم ينشف منشوراً .

دخلت الصالة واستعدت للكى . عندها وقت ، هذا الوقت الذى يمر بطيئًا كل يوم جمعة ، يوم الرؤية ، يوم ذهابه للنزهة مع أبيه ، إنها لم تتعود بعد الافتراق عنه يومًا بطوله ، اللهم إلا أيام الدراسة .

منذ خرج وهى تنتظر عودته وها هى تستعد لكىّ الغسيل حتى لا تشعر بالقلق ، لا تدرى لِمَ تقلق ، فهو يعود قبل المغرب بقليل ،

دائمًا يعود ولكن شيئًا كالغصة يجعلها تقلق وتتساءل ماذا لو لم يعدْ ؟

إن أباه كان دائم التهديد بخطفه ، بل إنه فعلاً حاول خطفه قبل الطلاق وقبل أن تُحل المسائل المعلقة بينهما .

***

انتهت من كى الغسيل الناشف .

ليست لها رغبة للذهاب إلى الشرفة لتأتى ببقية الغسيل وإن كان بعضه قد صار ناشفًا . رتبت الثياب المكوية فى الدواليب . نظرت فى الساعة ، تقترب من الخامسة ، موعد حضوره .

فتحت التليفزيون . لا تستطيع التركيز ، الوقت يمر بطيئًا . ستأخذ حمامًا . ليس هذا وقت الحمام ولكن لا بأس .

الوقت لا يمر .

تأخر أبوها .

تأخر جدًا .

ما الخبر ؟

الساعة السادسة .

مفتاح الباب . ها هو .

اتجهت ملهوفة نحو الباب .

- الولد ! - الولد فين ؟

- اتركينى آخذَ نَفَسى ..

- الولد .

- خدعنى .

- تركنى مع السائق ليشترى لعبة . بعد ساعة تركنى السائق ليشترى سجائر .

بعد ساعة أخرى .

سألت ؟ قالوا إن للمحل بابين .

طلب المحامى .

قال له : سترفع قضية ضم .

فى الثامنة اتصل أحدهم بالتليفون قائلاً إن سامح القصبى سافر إلى الخارج ومعه الولد وهو بخير .

صار لون هاجر باهتًا مثل لون الحائط .

ابنى .

ابنى .

ابنى ، لن أراه .

اتصل الأب بحقوق الإنسان قالوا : لن يعود قبل انتهاء سن الحضانة ولا نستطيع شيئًا .

اتصل الأب بصديق ضابط ليعمل شيئًا ، رد قائلاً : إذا سافر عن طريق الغردقة فلن تستطيع وزارة الداخلية شيئًا فالكروت لا تصل الجوازات إلا بعد ثلاثة أسابيع .

***

(١٠)

ذهب سامح القصبى إلى المطار بصحبة رجال العائلة وسيداتها جلسوا فى الاستراحة حتى ميعاد الطائرة .

قالت زكية القصبى :

- وهل يقبل أن تربى هاجر المغازى ابن سامح القصبى ، ردت فردوس بدر الدين : أتذكرين الصيف ؟

على البلاج ترتدى الشورت وتنزل البحر بالمايوه ، فضيحة .

- نحن لم نتدخل فى هذه الزيجة فالمرحومة عزيزة أحبتها كثيراً ، أعماها الحب عن السم الذى تختزنه تلك اللعينة ، وكانت ستعيش فى رغد هى وأبوها من نقود النفقة .

ابتسمت توحيدة القصبى وقالت : هه .

Power is here . يقولها الولد مشيراً بسبابته إلى رأسه.

- طبعًا تعاليم أحمد المغازى . عاش عمره يحتقر المال ويود أن يكون حفيده مثله . لا تعتبروا أنفسكم رجالاً إذا ترك لها هذا الولد .

ختم حسام القصبى الحديث قائلاً :

- إنى لا أتصـور يا سامح أن يـكون ابنك حفـيـداً لهذا الملعـون جلاب الفضائح أو ابنًا لهذه الداعرة . هيا .

فليـباركك اللـه وسوف نكون مـعك وعندك من المال مـا يكفى الثـلاث أو الأربع سنوات الباقـية على انتـهاء حق الحـضانة . مـعى التـوكيــل والمحـامى جــدع وسوف يتـصرف مع القـاضـى . فلن يحكـم قـاضٍ عـاقل لـتلــك المــرأة بالحـضـانة ومـعـنــا صـورها بالشورت وبالمايوه .

- ما الذى تسـاويه هذه المرأة حتى تـقف أمامنا وما الـذى كانت تساويه كى تكون زوجة لك ؟ فهى ليست سيدة . لا تفهم فى شئون البـيت فـهى تقـرأ وتذهب إلى الكليـة فـقط ومن يــدرى مـا الذى كانت تفعلــه فى الكلية ؟

نام الولد على كرسيه ، أيقظه الأب ، ستركب الطائرة .

- وأمى ؟ لا . أريد العودة لأمى .. أخذ فى البكاء .

نهر الأب الطفل قائلاً :

- هيا يا ابن أمك .

فى الطائرة بكى الطفل قليلاً ثم نام .

لعن سامح شقيقـته ، ردد : لم يكن أحد من العائلة موافـق ولا أمى رحمـها الله . قالوا ورددوا إنهـا قريبة لنا حـقيقــة - لكنها لم تربً فى بيت .

كنت أفـضل ابنة زكـيـة القصـبى فـهى مـاهرة فى الطبخ وإدارة البيت مـثل أمهـا ، أو ابنة فردوس بدر الدين فـهى أيضًا ربتهـا تربية

جيدة ، كلهن يعرفن قيمة الزوج ويعطينه من مالهن ومن جهدهن حقه . وكلهن عندهن مال . أما تلك المعدمة فلا تعرف قيمة المال . كله كلام . لا تعرف غير الكلام .

أنا .

أنا ترفضنى ؟

أنا تدفعنى من فوق السرير رافضة إياى. أنا ؟

- لن ترى ابنها . والأيام بيننا .

أخذ النوم الطفل ، فتح عينيه نصف فتحة مد يده كما يمدها كل يوم ليحس شعر أمه قبل أن ينام ، لم يجد شيئًا ، فتح عينيه مرة ثانية أدرك أنه فى الطائرة مع أبيه ، لم يقل شيئًا ، أغمض عينيه دون أن ينام هذه المرة ، وسرح فى أمه ، هل سيراها ثانية ، فتح عينيه ناظراً إلى لا شىء والذهول واضح فيهما .

***

أما هاجر فكادت تطبق على عنق أبيها وهى تصرخ : أنت السبب وذهبت إلى سلة الغسيل تبحث عن آخر ما ارتداه الطفل . أخذته ووضعته تحت وسادتها تمامًا كما فعلت ليلة ذهاب أمها إلى المستشفى .

فقد أرادت أن تبقى رائحة أمها بجانبها.

لم تقدر حتى على البكاء . وهى تفكر ؛ أتراه يبحث عن شعرى ؟ فهى الليلة الأولى بعيداً عنه .

***

(١١)

- لِمَ لا تأكل ؟

- أنتظر أن تبدئي

نظرت إلى الرجل ، أطالت النظر إليه كأنها تراه لأول مرة ، هل كبر عشرين عامًا في ليلة واحدة ؟ شيء ما في قسمات وجهه يوحي إليها بالربت عليه

لا .. تود الارتماء في أحضانه ، وضع رأسها على كتفه ، ربما البكاء ، ربما النوم فهي لم تنم ليلة أمس . ظلت مستيقظة ، تارة تروح وتجيء في الصالة ، تارة تذهب لحجرتها . تفتح الدولاب تنظر إلى ثياب الولد المرتبة ، كانت تنتظره .

اليوم أيضًا سيمر .

- هل تأكل ؟

أخذت قطعة خبز لم تمد يدها إلى الجبن أو إلى الفول • فقط قطعة خبز قالت كأنها تشجعه :

- أحب الشاي حين تصنعه أنت فله مذاق خاص .

حاول الابتسام فلم يفلت منه سوى انفراج من فمه

يشبـه البكـاء المكتـوم .

***

بدأ يأكل .

وضعت قطعة جبن بالخبز ، ظلا صامتين .

قطعت الصمت قائـلة :

– ألن تذهب إلى عملك اليوم ؟ فالنهار قد انتصف .

لم يرد .

قالت : اذهب فأنا بخير .

احتـارت فيما تفـعل بيومهـا . أتكوى بقية الثياب ، ربما . لكن هناك ما هو أهم .

السقف !

لماذا تنتظر أن يصلحه أبوها ؟ لماذا لا تعمل ؟

طلبت صاحبة البيت بالتليفون . إنها مُلمة بتلك الأمور .

سألتها عن مبيِّض .

طلبت المبيِّض ، استدعته . سألته عن التكلفة ..

مبلغ ليس بالهين .

طلبت الشركـة التى كان يعمل بها عـمها والتى كان بهـا عضواً لمجلس الإدارة ، قدمت نـفسهـا ، قالت إنهـا بالسنة الثالثـة فى كلية الهندسة وتود العمل .

أخذت موعداً .

مرتبها يعادل مرتب أبيها فى عدة أشهر !

علم الرجل بما قررته .

- لكن .

- لكن ماذا يا أبى . انتهى زمن البرمجة ، نحن الآن فى زمن آخر . سوف أعمل سوف أكتسب خبرة ، أما الكلية فهى كما تعلم جيداً لا تعطى الكثير . فسوف أكملها على مهل . سوف أصلح السقف يا أبى وأجمل البيت ، وسوف أدعو صديقاتى إلى هنا .

- أتعرف ماذا يعنى ذلك ؟

أتذكر خطابى لك يوم سخروا منى لأنى تحدثت عن التصنيع .

- إنى لم أعد مارلين مونرو . ربما بدأت اليوم أن أكون ابنتك .

لذا أود تربية الولد .

- كيف ؟ وهم ...

قاطعته :

- لقد علمتنى يوماً أن خوض المعارك ليس شيئاً سهلاً ..

وهو ابنى وهم أقوياء . نعم .. لكن الحق معى وسوف ترى ، قالتها بإصرار وحزم .

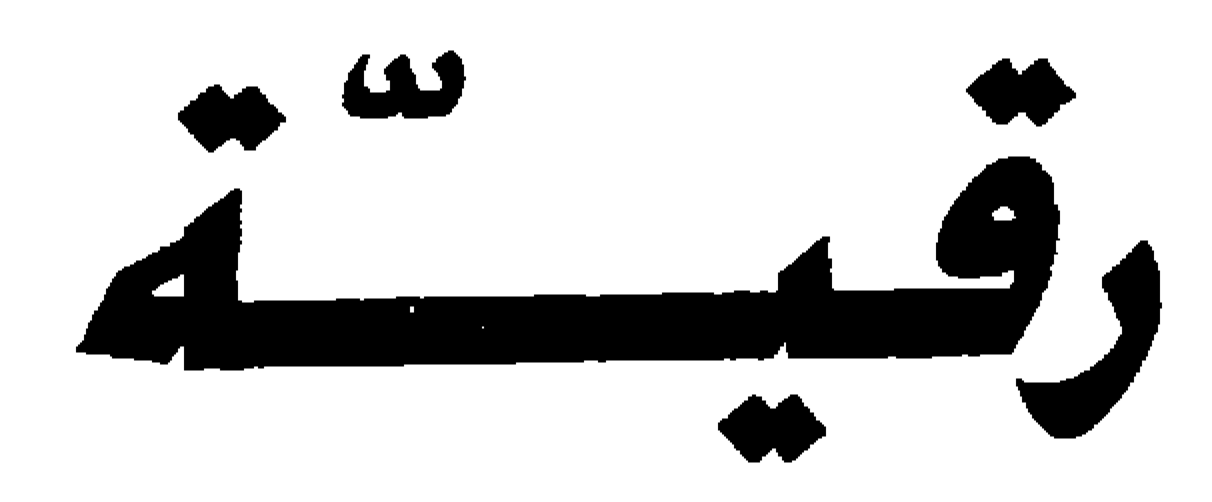
رد هــــو :

سوف نرى ، ودمعة الفرح تطل من عينيه .

بعد لحظة صمت ، قال بهدوء ورقّة :

- نعم هي معركة .

***


رقيّة

(١)

«كان فيه ست صغيرة عندها دار صغيرة ومقشة صغيرة . كل يوم تكنس الدار تلاقى جنيه . تحطه فى الطاقة ييجى الحرامى» .

نامت وهى ممددة واضعة رأسها على ساق الجدة التى جلست جوارها على الحصيرة مقلدة فى جلستها الكاتب المصرى .

الجميع فى القرية يجلسون جلسته ، يحفظون الحواديت والأمثال ، يتوارثونها كلمة ونغمة .

لم يكن بالبيت فرش . فقط حصيرة وكليم فى الشتاء . ينامون فوق الفرن ويتغطون بالكليم ، فى الصيف . ينامون على الحصيرة بدون غطاء .

***

فى الصباح تكنس الجدة المندرة . فالأرضية تراب ، وترشها بالماء حتى ييبس التراب ، تنظف زجاج اللمبة بقش أرز مغمور بالماء ، ويبدأ اليوم ، يوم الخبيز . تصنع الجدة لرقيّة قُيورى «رغيف مفقوس به بيضة أو بيضتان» . تفرح به رقيّة تصفق بيديها وهى تتسلمه من الجدة وتصرخ ، آه ، لأنها أمسكت به وهو ساخن ،

خارج لتوه من الفرن ولم تنتظر حتى يبرد .

قبل المغرب بقليل تذهب الجدة إلى الترعة لتأتى ببلاص ماء أو بلاصين . الواحد تلو الآخر . تضع بعضهما فى الزير ليقطر حتى تشرب ماء نقيًا . تترك البعض الآخر فى البلاص للاغتسال أو للغسيل .

يوم سألت رقيّة : الحُمّى مش هترجّع أبويا ؟ وأمى ؟

ردت الجدة

- اللى بتاخده الحُمّى ما بيرجعش .

- وانت حتاخدك الحُمّى ؟

- الله أعلم .

- وأنا أقعد لوحدى ؟

أكنس الدار وألم قزاز اللمبة واملأ الميّة من الترعة ؟ أنا ما اعرفش .

تسكت الجدة .

ثم تقول لها روحى العبى مع بنات زبيدة . فتخرج رقيّة إلى الشارع لتلعب مع البنات - الاستغماية .

فى الصيف حين يأتى «البشالوى» إلى القرية لجمع القطن كانوا يمكثون ساعات مُضنية من العمل فى الغيط وفى المساء يقتسمون خبزًا ومشًا أتوا به من بلدهم . ثم تبدأ سهرتهم .

تستمع إليهم رقيّة وهم «يغنون معانا الحنة البغدادى - معانا الحنة الحجازى ..» .

تصفق بيديها وتجرى حتى جدتها لتغنى أمامها :

«معانا الحنة البغدادى» .

ثم ترقد على الحصيرة واضعة رأسها على ساق الجدة لتقول :

- احكى لى حدوتة يا ستى .

***

اشتد النزيف الذى انتاب الجدة وشعرت أنها تضعف يومًا بعد يوم ، ماذا لو ماتت ؟

استقر رأيها على الذهاب للهانم وإيداع رقيّة فى البيت الكبير ، لتنشأ بينهم ، وتجد الرعاية عندهم ، فهناك الكثير من الخدم صغاراً وكباراً .

رقيّة مازالت فى السابعة لم يجئ رمضان الثامن بعد ، صغيرة على الخدمة ، لكن ماذا تفعل ؟

***

ذهبت للهانم ، قبّلت يدها ، جلست على الأرض أمام الأريكة التى جلست عليها الهانم ، وبعد مقدمة شرحت فيها المأساة طلبت من الهانم إيواء رقيّة ، قبلت الهانم قائلة :

- إنت كنت أحسن واحدة بتخبز عندنا ، مش عارفة إيه اللى

جرى لك وجـرى لابنك ولمراته . هاتى البنت . حاتكبـر مع الباقين. دى حلوة . لما يشتـد عودها راح أبعـتها مصـر لبنتى . تبقى الخـدّامة الخصوصى بتاعتها .

- اسمك إيه يا شاطرة ؟

- ردى يا رقيّة .

- آه ، رقيّة ؟ لأ . هانسميها ريّة أحسن رقيّة هانم تزعل .

- اسمك إيه يا شاطرة ؟

- رقيّة .

- لأ ، اسمك من هنا ورايح ريّة .

فهميها يا زليخة ... روحى انت وسيبيها . نزليها الدوار لنبوية أو لصديقة خليـهم يحموها ويدوها جلابيـة من بتوع أم الرزق ومنديل نظيف وإن كان فى رأسها قمل يسرحوه بالجاز .

***

(٢)

فور استيقاظ الهانم وجلوسها على الأريكة . بعد الإفطار تجلس رقيّة على الأرض جوار الأريكة . صارت وظيفتها أن تناول الهانم ما تحتاجه أو تنادى إحدى الخادمات الكبيرات إذا احتاجت إليها الهانم . تعلمت كلمة «يا ستى» .

لم تعد جدتها تحضر لزيارتها ، قالوا إنها ماتت . شعرت بإحساس غريب فى البيت الكبير بعد وفاة جدتها ، هى لن تراها إذن . هى لن تسمع الحواديت قبل أن تنام .

أخذت هى تردد الحدودتة على مسمع من حفيدة الهانم التى تصغرها بسنوات قليلة ، حين أتت ابنة الهانم وزوجها وابنتها لتمضية إجازة الصيف فى البيت الكبير.

وهى تحكى الحدوتة كانت رقيّة تفكر فى جدتها وما قالته الجدة مراراً «ربنا موجود» وحين تسأل رقيّة الجدة عن ربنا .. ترد الجدة قائلة : إنه موجود فى كل مكان ويرى كل شىء لكن نحن لا نراه .

كلمات كثيرة جدت عليها ودت أن تسأل الجدة عما تعنيه تلك الكلمات لكن الجدة ماتت ولا أحد يعيرها انتباهًا .

فقط ينادونها ليطلبوا شيئًا .

ينادونها لتنزل إلى الدوار للأكل أو للنوم . عندهم سراير لكنها لهم ، هى تنام على الأرض مع باقى الخدم ، عندهم ناموسيات لكنها أيضًا لهم ، أما هى فتستيقظ مرارًا فى الليل لأن ناموسة قرصتها .

حكت لنادية حفيدة الهانم عن «ربنا» فهى تحبه دون أن تعرف من هو ولا أين هو . فقط تعرف ما قالته «الجدة إنه موجود» .

سألتها نادية عن ربنا هذا أسئلة كثيرة ، ودائمًا كانت ترد إنه موجود ويرى كل شىء ويسمع كل شىء .

حين عنفت دولت الهانم نادية على مجالستها لرقيّة والتحدث معها .

ردت الطفلة قائلة :

- دى بتقول حدوتة حلوة وبتقول ربنا موجود ..

- يعنى إيه يا ريّة ربنا موجود مش عاجبك العيشة ولاّ إيه ؟

لم تفهم رقيّة لكنها لمست العنف ونغمة تأنيب فى صوت دولت هانم .تقوقعت فى جلستها وتساءلت عما ارتكبته من خطأ، تسألت أيضًا لماذا لا ترتدى نادية المنديل ؟

اشتاقت لجدها ولدار جدتها ، إنها لا تخرج لتلعب .

إن نادية ليست كبنات زبيدة ، إنهـا لا ترتدى المنديل وتنام على السرير .

شعـرت بحنين إلى البشالوى ، صوتـهم يأتى فى الليـل ، يأتى من بعيـد . «معـانا الحنة البغدادى» ، معـانا الحنة الحجازى . ليتـها كانت معهم ، ليتها تعمل فى الغيط وتغنى مثلهم .

***

كـبرت وصـارت لها مـهـام جديدة . غـسـيل القلل وملؤها فى الصبـاح وتسوية السـراير ورفع الناموسيـات وأيضًا صب الماء على الهانم حين تـستحم ، ودعك ظهـرها باللوفة ثم تفـريغ الطشت فى الماء بعـد انتهـاء حمام الهـانم . فالهـانم حين تستـحم تضع كـرسيًا داخل الطشت حتى تصب ماء الحـمام فى الطشت ، هناك بانيو لكن الهـانم تخشى التـزحلق داخله وتفـضل الطـشت . مـهمـة شـاقـة فالطشت ثقيل وهى دائمًا تخشى أن يقع منها ويغرق الحمام فى الماء المتسخ . عـلى أى الأحوال فهى التى تتـولى تنشيـفه بعـد أن تخرج الهانم إلى حجرتها لتمشط شعرها .

شعرت أنها كـبرت كثيراً ليس فقط لأنها مـكلفة بتفريغ الطشت ولكن أيضًا لأن سيـدتها لم تعد تكلفـها بالذهاب إلى المضيـفة حين تود البـعث بمرسال إلى البيـه الكبيـر فهـو يتـرك طابق الحريم بعـد الإفطار ولا يصعد إليه إلا بعد العشاء وكذلك البيه الصغير ابنه .

***

(٣)

بعد انتهاء مأتم الهانم الكبيرة . عادت دولت هانم إلى القاهرة واصطحبت معها رقيّة .

بيت دولت هانم ليس كبيراً وليس به مضيفة فى الدور الأول . فهو دور واحد تحيط به حديقة ، لها سور . جوار البوابة حجرتان؛ حجرة للحارس وحجرة للخادمات وفى أقصى الحديقة فرن للخبيز فدولت هانم لا تحب عيش السوق وتأتى بالدقيق من القرية كل سنة بعد القمح . فالغربلة والطحين والنخيل يتم فى البيت الكبير .

***

كلفت رقيّة بالاستيقاظ مبكراً لتحضير الإفطار للست الصغيرة وتصفيف شعرها . أصبحت رقيّة مع الوقت تتقن تضفيره ثم وضع شريطين من الحرير فى آخر كل ضفيرة .

يوم إجازة الست الصغيرة هو يوم الخبيز . فهى تستيقظ أيضًا مبكراً فى هذا اليوم لتساعد أم الخير فى تبطيط الخبز وقد علمتها أم الخير ألا تكثر من الردة تحت الرغيف الذى تبطه وألا تكثر من رشه بالدقيق قبل تبطيطه . أحبت رقيّة الرغيف وهو يتسع تحت يا.ها

ويصبح فى حجمه النهائى بل أصبحت تعرف كيف تخلعه من على الرقعة التى بطظته عليها بكفها وتتلقاه بكفها الأخرى دون أن يختلط العجين لتلقى به على المطرحة وتقذفه المطرحة إلى العرسة .

تشعر بالفخر حين ينزلق الرغيف من المطرحة إلى عرسة الفرن ولولا وجود أم الخير لصفقت بيديها كما كانت تفعل وهى طفلة حين تسعد .

***

حين جاءها الطمث ذعرت. أهو النزيف الذى انتاب الجدة أم ماذا؟

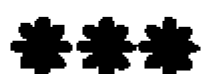
قالت لأم الخير . ربتت عليها المرأة وابتسمت . علمتها الأشياء الخاصة بهذا الحدث ونبهتها أيضاً لما يجب تنبيه الفتيات فى هذه السن إليه ، وقالت لها :

– بقيتى عروسة .

لم تفهم كثيراً . ماذا تعنى أم الخير بهذا القول ، كل ما وعته هو تحذير أم الخير لها من الرجال وقولها :

– ما عدتيش تغنى فى الشارع وانتِ رايحة للمكوجى . إنتِ كبرتِ .

ما العلاقة بين الطمث والغناء ؟ لم تفهم . ألن أغنى بعد الآن ؟ ولماذا ؟



أحيانًا كانت تُكلَّف باصطحاب الست الصغيرة إلى إحدى الصديقات . فهم فى حلوان عائلات تعرف بعضها البعض ، وبينهم صداقة تمتد للأولاد .

حين تكون الست نادية مشغولة باللعب أو بالمذاكرة مع الصديقة التى ذهبت إليها . كانت يدها تمتد إلى كتاب ، فكل الكتب بها صور . هى لا تقرأ لكنها تحب الصور فتقلب الصفحات وتتفرج على الصور حتى لو كان كتاب أحياء مرسوم به حشرات وحيوانات . لكنها صور تسليها وهى جالسة على الأرض تنتظر أن تأمرها الست نادية بالعودة معها إلى البيت .

فرحت يوم قالت لها دولت هانم بعد الخبيز : ستذهبين مع الست الصغيرة إلى الحديقة اليابانية .

أخذتا ساندوتشات وفاكهة ، وذهبتا إلى الحديقة . حتى هذا اليوم كانت تمر أحيانًا أمام الحديقة دون أن تدخلها .

إنه يوم محسوب فى حياتها رأت أطفالاً كثيرين يلعبون بالكرة أو بالحبل أو يجرون هنا وهناك .

هل تلعب مع الست نادية ؟ تذكرت يوم حكت الحواديت ونهرت دولت هانم نادية لأنها استمتعت إليها .

جلستا على أريكة ، حين جاعت أكلت نادية الساندوتش . نظرت إليها بفخر قائلة :

- أنا اللى مبططة العيش - حلو مش كده ؟

لم تعرها نادية انتباهًا وطلبت الفاكهة .

كانت رقيّة سعيدة بالحديقة ، سعيدة برؤية الأطفال وهم يلعبون، سعيـدة مبتسمـة ، ربما الخضرة ، ربما الوجود خـارج البـيت . لكنها كانت سعيدة .



(٤)

فى الإجازة عـادوا للقرية . عادت دولت هانم والست الصغيرة ورقيّة . ظل البيه ومعه أم الخير ترعى شئون البيت فى غياب الهانم . فالبـيه عنده عمل بالقـاهرة ولا يستطيع التـغيب إلا شهـراً واحداً ؛ شهر أغسطس فالمحاكم إجازة فى هذا الشهر .

***

أحـيـانًا ترى رقيّة البـيـه الصـغـيـر أخو دولـت هانـم فى طابق الحريـم . أحيانًا كان يقول لها :

- إزيك ؟

وكانت ترد عليها فى دهشة :

- الله يسلمك .

فلا أحد غيره قال لها إزيك . فى يوم وكانت تسوى سريره .

- تتجوزينى يا بت ؟

احتارت فيمـا تجيـب . لِمَ يكلمها وهـم لا يكلمون الخـدم ؟ لم تـرد .

أخذ فى تقبيلها .

نهرته . فـقد تذكـرت ما نبهــتها إليـه أم الخيــر . ازداد التـصاقًا بهـا .

دفعته ، قائلة :

- ربنا موجود ، ربنا شايف .

صفعها ، طردها .

لم تقل شيئًا لأحد ، خشيت دولت هانم .

***

فى الصباح التالى فكرت فى تأجيل تنظيف حـجرة البيه الصغير حـتى يخرج وحـتى لا تتكرر المسألـة . لكنها انتـهت من الحجـرات الأخرى وهو لم ينزل بعد إلى المضيفـة . وكما توقعت اندفع نحوها وأراد تقبيلها .

لكمته وخرجت .

خرجت لا تعى شيئًا ، ماذا تفعل ؟

هى نسيت الشوارع .

لا تعرف كيف تعود إلى الحارة التى كانت تسكن بها جدتها.

ماذا تفعل ؟

نادتها دولت هانم .

إيه اللى حصل ؟

لم ترد .

ليه دخلت «أودة» البيه الصغير وهو لسه نايم ؟

ليه تزعجيه ؟

لم ترد .

فقط نظرت إلى دولت هانم وهى تتساءل لماذا الكذب ولماذا تكون هى المخطئة ؟

فى النهاية قالت :

- أنا رايحة دورة الميه .

نزلت إلى الدوار . خرجت بعد أن ارتدت طرحة كما يفعل أهل القرية من الكبار .

سألت عن بيت زبيدة . وصلت إلى هناك . امرأة أمام بيت جدتها .

أتراهم أخذوا البيت ؟

استقبلتها زبيدة مذعورة .

- انتى عايزاهم يطلعونا من البلد .

- يوم . ولو يوم

- لأ يا بنتى كان من عنيَّ . لكن احنا ما نقدرش عليهم .

- إن كان محدش شافك وانت خارجة ارجعى من سكات .

- مش حارجع ، هامشى مع البشالوى .

- البشالوى مش ماشيين دلوقت . احنا لسه فى أول الموسم .

- طب وبعدين ؟

- ارجعى وأنا هاعرف لك البشالوى ماشيين امتى ، وليلة ما يمشوا هآجى البيت الكبير . تعرفى انهم ماشيين وتمشى معاهم وأنا حاقول لواحدة منهم تكون كبيرة ترعاكى .

- وخدى ده اللى معايا .

وأعطتها ريالاً . ثم قالت .

الشرف غال يا بنتى بس انتِ لسه صغيرة . دا رمضان الـ ١٤ لسه ماهلش عليكِى .

إنها تعلم أن البشالوى يرحلون فى نهاية الموسم . أتراهم يقبلونها بينهم ؟

سترحل معهم إلى بلاد أخرى وتعمل فى الغيط ، وفى الليل تغنى معهم .

***

قالت المرأة :

- ضهرنا بينقسم نصفين واحنا فى الغيط ، والحر شديد قوى.

ردت ..

- ولو

- بنام فى الظل .

- الفجر يبقى سقعة .

- ولو

مالناش دار .

ذهبت معهم وشيء من الأسى يذكرها بجدتها وبالدار . فلم تعد هناك دار صغيرة ولا مقشة صغيرة وبدا الغناء في هذه اللحظة كأنه بعيداً .

***

(٥)

فى البيت الكبير علمت دولت هانم بما حدث . قال :

– البيه الكبير لو عرف هايدفنها حيّة .

– نعمل إيه دلوقتِ ؟

– ابعتى أم الرزق من هنا ورايح تسيب المطبخ وتبـقى معانا فوق ولما نسافر نأخدها معانا . هم البشالوى مشيوا من بدرى ؟

– من الفجر .

– زمانهم وصلوا وزمانهم سربوها. صـحيح بنى آدم ما بيقدّرش النعمة .

***

الفهـرس

المؤلـــف

ليلى مصطفى الشربينى

الدراسة :

* بكالوريا فرنسية شعبة رياضيات - ١٩٥٤ .
* بكالوريوس علوم - رياضة بحتة- كلية العلوم جامعة القاهرة ١٩٦٢ .
* شهادة الدراسات المتعمقة (M.Sc) فى الإحصاء الرياضى - جامعة باريس ١٩٦٦ .

العمـــل :

* مدرسة رياضيات - ليسيه باريس ١٩٦٣ : ١٩٦٦ .
* باحثة بوزارة الصحة الفرنسية ١٩٦٧ .
* باحثة بوزارة الصناعة الفرنسية ١٩٦٩ : ١٩٧١ .
* مدرسة إحصاء - جامعة الجزائر ١٩٧٢ .
* باحثة بمعهد الإحصاء - جامعة القاهرة ١٩٧٣ : ١٩٩٥ .
* أستاذة إحصاء بجامعة بنين القومية - جمهورية بنين ١٩٩٢ : ١٩٩٣ .

الكتـــب :

* الكرز - قصص قصيرة - مختارات فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ .
* الآخر - قصص قصيرة - أصوات أدبية - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٥ .
* النسبية - قصص قصيرة - كتابات جديدة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ .
* ترانزيت - روايـــة - مركز الحضارة العربية ١٩٩٧ .
* رجال عرفتهم - مركز الحضارة العربية ١٩٩٨ .
* - مـشـــوار - مركز الحضارة العربية ١٩٩٨ .
* - الرجـــل - مركز الحضارة العربية ١٩٩٨ .

المقـالات :

حوالى ١٥ مقالاً عن العلم والتعليم :

١ - المحاور الأساسية للتعليم- الأهرام الاقتصادى - أغسطس ١٩٨٦ .

٢ - الحاسوب واللغة العربية - مجلة الكمبيوتر . مارس ٨٧ .

٣ - القضية التعليمية والمعاصرة - صوت العرب - مارس ١٩٨٧ .

٤ -كان أدبه معادلة رياضية (يوسف إدريس) - الشرق - أغسطس ١٩٩١ .

٥ - العلم والتحديات الثقافية - مجلة اليسار . مارس ٩٤ .

٦ - المرأة والإبداع العلمى - مجلة اليسار . مارس ٩١ .

٧ - البعد العلمى للثقافة - مجلة اليسار . نوفمبر ٩١ .

٨ - التعليم والإعلام وعملية القهر الذهنى- مجلة أدب ونقد- فبراير ٩١ .

٩ - نظرية المعلومات والتجربة العلمية - نشرة الثقافة العلميـة (المجلس الأعلى للثقافة) . ديسمبر ٩٤ .

١٠ - أين نحن من منجزات العصر ؟ - جريدة الأهرام - الصفحة الثقافية - عدد الجمعة - سبتمبر ٨٨ .

١١ - الرياضيـات فى التعليم الجامعى ضرورة - جريدة الأهرام - الصفحة الثقافية - عدد الجمعة - يونيه ٩٥ .

١٢ - الإبداع مطلوب والاغتراب مرفوض - الشرق - ديسمبر ١٩٩٢ .

١٣ - التعليم التلقينى - مجلة إبداع . عدد فبراير ١٩٩٧ .

١٤ - تحرير العقل لا يطلب فلوسًا - مجلة اليسار . عدد ديسمبر ١٩٩٣ .

١٥ - اللغة العربية وأدوات - قضايا فكرية - مايو ١٩٩٧ .

١٦ - الإعلام وعصر الذكاء - إبداع - أغسطس ١٩٩٧ .

١٧ - التعليم التلقينى والبنية الذهنية الأصولية - القاهرة -اكتوبر ١٩٩٧ .

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

روايات ..

إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس أبوولوس ترجمة د.على فهمى خشيم
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
الخروج إلى النبع	محمد قطب
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
الدميرة	د. عبد الرحيم صديق
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى

قصص قصيرة ..

مطرية الغروب	جمال الغيطانى
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
حرب بلاد غنم	خيرى عبدالجواد
حكايات الديب رماح	خيرى عبدالجواد
حرب أطاليا	خيرى عبدالجواد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
شجرة الخلد	سعد القرس
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
فرد حمام	يوسف فاخورى
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوه
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــد	عبده خال
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين

شعر ..

سراب القصر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
قصائد حب من العراق	البيـاتى وآخرون
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
منيـــا تنادينـــا	طارق الزياد
صلاة المودع	صبرى السيد
من فصول الزمن الردىء	درويش الأسيوطى
غربة الصبح	محمد الفارس
الغربة والعشق	مجدى رياض

عطر النغم الأخضر — عمر غراب

العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر — نادر ناشد

هذه الروح لي — نادر ناشد

في مقام العشق — نادر ناشد

ندى على الأصابع — نادر ناشد

إذهب قبل أن أبكى — د. لطيفة صالح

مسرح ..

هذه الليلة الطويلة — د.أحمد صدقى الدجانى

اللعبة الأبدية ـ (مسرحية شعرية) — محمد الفارس

مملكة القرود — محمود عبدالحافظ

دراسات ..

آلهة مصر العربية — د . على فهمى خشيم

رحلة الكلمات — د . على فهمى خشيم

بحثاً عن فرعون العربى — د . على فهمى خشيم

أباطيل الفرعونية — سليمان الحكيم

مصر الفرعوبية — سليمان الحكيم

هاجس الكتابة — د . أحمد إبراهيم الفقيه

تحديات عصر جديد — د . أحمد إبراهيم الفقيه

حصاد الذاكرة — د . أحمد إبراهيم الفقيه

الجات والتبعية الثقافية — د. مصطفى عبد الغنى

ضد هدم التاريخ وموت الكتابة — أحمد عزت سليم

فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع — محمد الطيب

زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة — مجدى إبراهيم

البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية — سمير عبد الفتاح

أعلام من الأدب العالمى — على عبد الفتاح

المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين — خليل إبراهيم حسونة

أدب الشباب في ليبيا — خليل إبراهيم حسونة

العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى — خليل إبراهيم حسونة

تراث ..

كشف المستور من قبائح ولاة الأمور — د . أحمد الصاوى

رمضان .. زمان — د . أحمد الصاوى

القصص الشعبى فى مصر — إعداد خيرى عبد الجواد

إغاثة الأمة فى كشف الغمة

الفاشوش فى حكم قراقوش

الحكمة المدنية لابن المقفع

فنون ..

ماهى السينما — صلاح أبو سيف

قضايا المونتاج المعاصر — د . عفت عبد العزيز

الصوت والضوضاء — د . مصطفى عبد المطلب

بالإضافة إلى :

كتب متنوعة : سياسية – قومية – دينية – معارف عامة – أطفال .

خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب – وثائق – النشرة الدولية – دراسات عربية – معلومات – ملفات صحفية موثقة.



فى هذا الكتاب عملان جديدان من إبداع ليلى الشربينى ، يعبران عن صورتين من صور القهر الواقع على المرأة ، بخاصة فى مجتمعنا ، القرية والمدينة . وفى العملين جميعاً تتبدى نبالة الانسان فى صموده لمواجهة تعاسات الحياة ، كما يتبدى تنوع أسلوبى غنى .

الناشر

